



## تلقي أحمد مطر وأديب الممالك فراهم: لمفهوم الحرية

قراءة في شعريتهما

د. سيد فضل الله ميرقادرني<sup>(\*)</sup>

أبو طالب توكلني بور<sup>(\*\*)</sup>

تاريخ الاستلام: ٢٠٢٥/٤/٢٠ ◆

تاريخ القبول: ٢٠٢٥/٦/٤ ◆

### الملخص

تعدّ الحرية من أهمّ مكونات الحياة الإنسانية، كما تُعدّ من أبرز الأهداف الأساسيّة في المجتمعات البشريّة. وقد تتجلّى مفاهيمها في اتجاهات وأفكار متنوّعة تبعاً للقيود التي يعاني منها الفرد أو المجتمع، وعادةً ما ينعكس هذا التنوّع في اختلافات الأفراد الثقافيّة، والإطار الزمنيّ، والبيئة؛ يُعدّ الشاعر العراقيّ المعاصر أحمد مطر، والشاعر الإيرانيّ أديب الممالك فراهماني في العصر القاجاريّ، من أبرز النماذج الدالّة على هذه الاختلافات. فقد عاش كلّ منهما في مجتمع يعاني من القمع والاستبداد، مع وجود تباين واضح في الخلفيّات الثقافيّة والتاريخيّة بينهما. وعموماً تهدفُ هذه الدراسة،

(\*) أستاذ في قسم اللغة العربيّة وآدابها، جامعة شيراز، إيران [sfmirghaderi@gmail.com](mailto:sfmirghaderi@gmail.com)

(\*\*) طالب مرحلة الدكتوراه في اللغة العربيّة وآدابها، جامعة شيراز، إيران (الكاتب المسؤول)

[tavakolya86@gmail.com](mailto:tavakolya86@gmail.com)

من خلال تحليل الجوانب المختلفة لحياة الشاعرين والعوامل المؤثرة فيها، إلى استكشاف المواضيع المتعلقة بالحرية في شعرهما، وكيفية تلقيهما لهذا المفهوم، وأخيراً الكشف عن أوجه التشابه والاختلاف بينهما في هذا السياق. لذا تعتمد الدراسة على المنهج الوصفي-التحليلي، مع التركيز على المنهج الاجتماعي، إذ إن الحرية تُعد قضية اجتماعية تتجذر في الحياة الإنسانية الجماعية. تعتمد هذه الدراسة في مقارنة الأشعار على المنهج الأمريكي، الذي يركز على النصوص الأدبية مقارنةً من حيث الوجوه الفنية والنقدية والتحليلية، دون النظر إلى التأثير والتأثر بين الأدبين. وتتناول الدراسة أيضاً مقارنة مفهوم الحرية بين الشاعرين، من خلال اختيار أشعارهما بشكل استقرائي؛ ومن أبرز النتائج التي توصلت إليها هي أن الحرية بمفهومها السياسي تجلت في شعر كلا الشاعرين، لكن دلالتها اتسعت عند أحمد مطر الذي نظر إليها كحق إنساني مطلق يرتكز على مبادئ الفرد وكرامته، بينما ارتبط مفهوم الحرية عند أديب الممالك بالمشروعية الجماعية، واكتسب طابعاً قومياً، حيث رأى أنها تتحقق من خلال إصلاح النظام السياسي القائم على العدالة والقانون.

يتناول القسم الأول من البحث دراسة موجزة لحياة الشاعرين، أما القسم الثاني فيتناول دراسة مفهوم الحرية في قصائد الشاعرين بشكل تحليلي ونقدي. وأخيراً، في قسم الاستنتاج، تتطرق الدراسة إلى ذكر أهم النتائج التي توصل إليها الباحثان، مع تسليط الضوء على أوجه التشابه والاختلاف بينهما في تلقيهما لمفهوم الحرية. المفردات الرئيسية: الأدب المقارن، مفهوم الحرية، أحمد مطر، أديب الممالك فراهاني.

## ١. المقدمة

الحرية تعد من أبرز المفاهيم الأساسية التي تسهم في بناء الحياة الإنسانية، ويمكن عدها نتاجاً لاختيارات البشر أو نتيجة لها. وعلى الرغم من أن هذا المفهوم قد امتزج بالعديد من مجالات الحياة الإنسانية، سواء كانت فردية أو جماعية، فكرية أو فلسفية، إلا أنه يواجه اختلافات واسعة في التصورات والتعريفات المتعلقة به. إذ تنوع الرؤى

حوله بين مجتمعٍ وآخر، وبين شخصٍ وآخر.

وبشكلٍ عام، يتضح أنّ الحرية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالقيود التي يعاني منها الإنسان في حياته؛ حيث أجمع الكثيرون على أنّ الحرية هي التحرُّر من القيود (الحافظ، ٢٠٢٢م، ص ٢٤٦). ومن ثمّ، يمكن القول بأنّ كلّ مجتمعٍ أو فردٍ يقدمُ تعريفاً خاصاً للحرية بناءً على القيود التي يواجهها. وقد تبلور هذه الاختلافات في المجتمعات التي تفصلُ بينها فجواتٌ زمنيةٌ أو ثقافيةٌ. يُعدُّ المجتمع الإيراني في العصر القاجاري والمجتمع العراقي الحديث نموذجين واضحين لهذه الاختلافات. يُعدُّ أحمد مطر الشاعر العراقي المعاصر، وأديب الممالك فراهاني الشاعر الإيراني في العصر القاجاري، من الشعراء الذين يختلفون اختلافاً كبيراً من حيث الزمان والثقافة وحتى ظروف الحياة.

يُعدُّ المجتمع العراقي من المجتمعات التي قد عانت كثيراً لا سيّما في القرن الأخير من تحديات عديدة في النظام السياسي والاجتماعي والثقافي وقد شهد العراق منذ السلطة العثمانية حتى القرن الحاضر عدم استقرار الحكم وكثرة الثورات والصراعات التي جعلتها متدهورة للغاية، كما واجه العراق اضطرابات شديدة في نظامه السياسي والاجتماعي ممّا أدّى إلى الركود الاجتماعي والتخلف في ذلك المجتمع، وطبعاً كان للاحتلالات المتتالية دورٌ مهمٌ في هذا الانحطاط كما أدّى غنى أرض العراق بالنفط والمواد المعدنية الأخرى وموقعها الاستراتيجي شيئاً فشيئاً إلى بروز الأطماع والتنافس بين الدول الأجنبية للسيطرة على الأراضي العراقية.

من جهةٍ أخرى، كانت إيران في العصر القاجاري تعاني من حالة اضطراب شديد على الصعيد السياسي، حيث كانت الدول الأجنبية تسعى دائماً لتحقيق مصالحها داخل البلاد. كما كانت الأوضاع الداخلية مختنقة للغاية، حيث لم يكن هناك مكان للعدالة والحرية بمفهومهما الحديث. وكان الاختناق الشديد مهيمناً على الشعب، الذي كان يعيش في رعب دائم من الحكومة، ولم يتجرأ أحد على الاعتراض على ذلك الوضع. وكان من يعترض على الملك وأفكاره، يتعرض للعقاب بشدّة، لأنّ الملك كان يُعدُّ رأس كل شيء.

في تلك الفترة، انحطت الأمة الإيرانية إلى درجة لم تعد قادرة على الخروج من الفساد بسهولة، خاصةً خلال الخمسين عامًا من حكم ناصر الدين شاه، نتيجة التنافس بين بريطانيا وروسيا لتوسيع نفوذهما في إيران. وبشكل عام، فإنّ عوامل مثل الجهل والرشوة والفساد الأخلاقي لرجال الحكومة، والفساد في النظام الإداري، دفعت البلاد إلى حالة من الانهيار. جميع هذه الظروف أدت تدريجيًا إلى شعور الناس بالعجز والقلق من الفساد، مما أوجد ظروفًا لظهور انتفاضة لإصلاح الوضع المتردي الذي خلقته السلطة القاجارية. وقد تجسدت هذه الانتفاضة في الحركة الدستورية التي بدأت عام ١٩٠٦م، وأدت إلى تراجع الاستبداد والسلطة المطلقة للملوك القاجاريين. وعلى الرغم من أنّ هذه الحركة لم تستمر طويلًا، لكنّها احتلت مكانة خاصّة في التاريخ السياسي الإيراني المعاصر، لأنها كانت قادرة على تغيير بعض أسس السلطة المطلقة. وبنظرة شاملة على الواقع الاجتماعي الذي عاشه أحمد مطر وأديب الممالك، يتبيّن أنّ كلي المجتمعين -على الرغم تباعدهما الزمني- قد عانوا من القمع والاستبداد، وعمومًا واجها اضطرابات داخلية وخارجية شديدة. كما أنّ كلا الشاعرين، بفضل روحهما المقاومة، قد عبّرا في قصائدهما عن سعيهما نحو الحرية. لكن تحديد مواصفات مفهوم الحرية لدى كلّ منهما يتطلّب تحليلًا دقيقًا لقصائدهما، وهو ما سنتناوله بالدراسة.

## ١-١. أسئلة البحث

- تحاول الدراسة الإجابة عن جملة من التساؤلات ومن أبرزها:
- كيف تجلّى مفهوم الحرية عند الشاعرين؟
- ما هي العوامل المؤثّرة في تشكيل مفهوم الحرية عند الشاعرين؟
- وما هي أوجه التشابه والاختلاف بينهما في تلقّيها لهذا المفهوم؟

## ١-٢. الدراسات السابقة

شهدت الساحة الأدبية العديد من الدراسات حول مفهوم الحرية وكيفية تلقي الشعراء لهذا المفهوم. ومن بين تلك الدراسات ما له صلة مباشرة بموضوع دراستنا، يمكن الإشارة إلى:

-دراسة لمجدي وحيدري (١٣٩٠هـ.ش)، حول مفهوم الحرية في شعر أحمد مطر، والتي ركزت على العلاقة بين الأفكار السياسية للشاعر ومفهوم الحرية في شعره. ومع ذلك، فإن الدراسة لم تتوصل إلى نتائج دقيقة مرتبطة بموضوعها، بل اقتصر على تقديم معلومات عامة عن الشاعر.

-دراسة لمصفاً وسعادي (١٣٩٠هـ.ش)، التي تناولت أربعة مفاهيم في شعر أديب الممالك فراهاني، من بينها مفهوم الحرية. وقد اعتمدت الدراسة على التحليل النقدي باستخدام أسلوب الإحصاء، وكشفت عن كيفية تجلّي هذه المفاهيم، خاصة الحرية، في المجتمع القاجاري، وأيضاً كيفية تلقي الشاعر لها. وخلصت الدراسة إلى أنّ الشاعر، بسبب هيمنة الجهل في مجتمعه، يستخدم مفاهيم الحرية والعلم والقانون لتحفيز الشعب على الاهتمام بها. ومع ذلك، فإنّ النتائج جاءت عامة ولم تعالج الجوانب المختلفة بشكل عميق.

-دراسة لضيء الدين وحيدريان (١٣٩٣هـ.ش)، حول مفهوم الحرية في شعر البارودي وملك الشعراء بهار. وقد خلص الباحثان، بعد دراسة قصائد الشعراءين والتركيز على الاشتراكات السياسية والاجتماعية والأدبية بينهما، إلى أنّ هذه المشتركات أدت إلى ظهور توجهٍ محدّدٍ في مفهوم الحرية لديهما، وهدفت إلى إصلاح المشكلات الاجتماعية الموجودة.

-دراسة لبيشوايي وآخرين (١٣٩٧هـ.ش)، حول مفهوم الحرية في شعر معروف الرصافي وفرخي يزدي. وقد توصل الباحثون، بعد دراسة قصائد الشعراءين والتركيز على أحوال مجتمعهما، إلى أنّ حرية التعبير تجلّت بشكلٍ أكبر في شعر فرخي، بينما كان اهتمام الرصافي منصباً على حرية الفكر بشكلٍ عام. كما رأى الرصافي أنّ الحرية فوق

الوطنية، على عكس رؤية فرخي يزدي التي اتسمت بالطابع الوطني.  
 -دراسة لفرزاد وآخرين (١٣٩٩هـ.ش)، حول مفهوم الحرية في شعر أحمد شاملو وأحمد مطر. وقد عانت هذه الدراسة من التسرع في الكتابة وفقدان البنية البحثية؛ حيث تناول الباحثون الموضوع دون توفير مقدماته اللازمة. وفي الواقع، عند دراسة شعر الشاعرين في مجال الحرية، وجدنا أن كليهما تأثر بالظروف الاجتماعية والسياسية لمجتمعهما، إلا أن الباحثين لم يدرسوا هذه الظروف بشكل واضح، مما أثار حيرة القارئ.  
 -دراسة لأقداامي وآخرين (١٤٠١هـ.ش)، حول مفهوم الحرية في شعر إيليا أبو ماضي ومحمد تقي بهار. وقد خلص الباحثون، بعد دراسة الظروف الاجتماعية لشعبي الشاعرين وتحليل قصائدهما، إلى أن مفهوم الحرية عند إيليا أبو ماضي تجلّى بشكل أكبر، ورؤيته للحرية كانت عابرةً للحدود الوطنية، على العكس من رؤية محمد تقي بهار التي اتسمت بالطابع الوطني.

يتضح لنا أن هذه الدراسات تشترك في بنية محتوائية ثابتة؛ حيث إن معظم الباحثين درسوا الظروف الاجتماعية والسياسية لشعوب الشعراء وأحياناً ما يدور حول أحوالهم الشخصية. وقد أدرك هؤلاء الباحثون وجود نوع من الارتباط بين تلك الظروف وتشكيل مفهوم الحرية في أذهان الشعراء. ومع ذلك، فإن الدراسات التي تناولت تلقي أحمد مطر أو أديب الممالك فراهاني لمفهوم الحرية لم تدرس بدقة تأثير الجوانب المختلفة من حياة الشاعرين على تشكيل مفهوم الحرية في ذهنيهما، وخصوصاً الدراسات المتعلقة بأحمد مطر، التي غالباً ما عانت من التسرع، مما أدى إلى عدم الانسجام بين أجزاء النص. بالرغم من وجود دراسات مقارنة تناولت مفهوم الحرية، إلا أنه لم يتم حتى الآن دراسة مفهوم الحرية في شعر أحمد مطر وأديب الممالك فراهاني، ولم يتم الكشف عن أوجه التشابه والاختلاف بينهما في هذا المجال.

### ٣-١. منهج الدراسة

تستند هذه الدراسة بشكلٍ عامٍ إلى المنهج الوصفي-التحليلي، مع التركيز على

المنهج الاجتماعيّ، يقوم المنهج الوصفيّ-التحليليّ على تحليل المعلومات التي يجمعها الباحث للتوصّل إلى تفسيراتٍ منسجمةٍ ونتائجٍ دقيقة. أمّا المنهج الاجتماعيّ، باعتباره أحد المناهج النقدية، فيعملُ الباحث من خلاله على استخراج المؤشّرات الاجتماعية وتحديد العلاقة الوثيقة بين الأديب والحياة. وعمومًا، هذا المنهج يتناول دراسة «ارتباط الأدب والأديب بالحياة في وجوهها كافة وبظروفها السياسيّة والاقتصاديّة وخصائص البيئة الجغرافيّة والمعيشيّة وسيرة الأديب وحياته العامّة والخاصة.» (قصاب، ٢٠٠٩م، ص ٣٥) ومن ثمّ، يتمُّ في هذه الدراسة جمع المعلومات المتعلّقة بالحياة السياسيّة والاجتماعيّة للشاعرين، للحصول على إجاباتٍ دقيقةٍ لأسئلة الدراسة. وفي هذه الدراسة، يتمُّ أولًا اختيار قصائد من الشاعرين بشكلٍ استقرائيّ، ثمّ دراستها وفقًا للمنهج الأمريكيّ، وهو منهج مستمدّ من المدرسة الأمريكيّة في الأدب المقارن، ويتركزُ على النصوص الأدبيّة من حيث الجوانب الفنيّة والنقدية والتحليليّة، دون النظر إلى علاقة التأثير أو التأثير بين الأدبين. يقوم هذا المنهج على «المقارنة على أساس الاهتمام بدراسة الأدب، في صلاته، التي تتعدى حدود القوميّة، وهذه الأخيرة هي ما يحدّد نوع الأدب لا اللغة؛ من ثمّ تعمل المدرسة الأمريكيّة، على ملاحظة العلاقات المتشابهة، بين الآداب المختلفة، فيما بينها وبين أنماط الفكر البشريّ.» (علّوش، ١٩٨٧م، ص ٩٤)

## ٢. نبذة عن حياة الشاعرين

### ٢-١. أحمد مطر

يعدّ أحمد مطر من أبرز الشعراء السياسيّين العراقيّين في القرن الحاليّ واسمه مألوف لدى الكثير من الباحثين العرب بسبب اشتهاره بلغته الصريحة واللاذعة وأيضًا بعض التيارات السياسيّة والأحداث الخاصّة التي رافقت حياته ممّا أدّى إلى نفيه الدائم من وطنه وتغيير مصير حياته في أوّل شبابه. وُلد مطر سنة ١٩٥٤م، في قرية التنومة، إحدى نواحي شطّ العرب في البصرة، كانت حياته من البداية ممزوجة بالفقر والحرمان لكنّه شيئًا فشيئًا أحسّ بهذه الوضعيّة المريرة لدى أبناء شعبه «لكن سرعان

ما تكشفت له خفايا الصراع بين السلطة والشعب فألقى بنفسه في فترة مبكرة من عمره، في دائرة النار، حيث لم تطاوع نفسه على الصمت، ولا ارتداء ثياب العرس في المآتم، فدخل المعتزك السياسي من خلال مشاركته في الاحتفالات العامة بإلقاء قصائده من على المنصة، وكانت هذه القصائد مشحونة بقوة عالية من التحريض، وتتمحور حول موقف المواطن من سلطة التي لا تتركه ليعيش.» (الكردي، ٢٠١١م، ص ٥)

لهذه الصراعات الموجودة بين السلطة والشعب دور مهم لعدول شعر أحمد مطر من النطاق الغزل والرومانسي إلى الشعر السياسي لأنه لم يقدر أن يتحمل ذلك الوضع السياسي المؤسف ولذا كان يتحدث في شعره عن الواقع الموجود في بلده بكل صراحة مع استخدام التعبيرات الحادة واللاذعة كما تمحورت قصائده حول هجو الحكام العرب وفضح أعمالهم وتصرفاتهم واعتقد أن إهمال السلاطين واستبدالهم سبب رئيسي لخلق هذه الظروف المدمرة في وطنه. وأخيرا السلطات العربية عامة والسلطة الحاكمة على العراق خاصة لم تسكت تجاه صراحة تعابيره وحده كلامه، الأمر الذي أدى إلى نفيه من العراق إلى الكويت مرة وثم من الكويت إلى لندن مرة أخرى.

وبعد لجوئه إلى الكويت عمل صحافياً في جريدة "القَبَس" مع رسّام فلسطيني اسمه "ناجي العلي" وأصدر فيها مدونات الشعرية التي سميت بلافاتته؛ وكانت لتلك الجريدة مكانة خاصة لمواصلة أعماله السياسية، وقد أثار هذا الأمر غضب السلطات العربية وتسبب بنفيه من المنفى مرة أخرى فبدأ أحمد مطر رحلته الثانية مع ناجي العلي من الكويت إلى لندن. وبعد مدة قليلة واجه مطر استشهاد صديقه ناجي العلي في عملية الاغتيال في لندن عام ١٩٨٧م. (عايش، ٢٠٠٦م، ص ١٤-١٦)

قضى مطر سنوات طويلة من عمره في المنفى بعيداً عن وطنه وعائلته ولهذا أطلقوا عليه "شاعر المنفى" وقد أمرضه البعد عن الوطن تدريجياً ولا يزال حياً رغم ما يعانيه من العربة والمرض الذي أصابه. وطبعاً أثار استشهاد ناجي العلي غضب الشاعر من ناحية وحزنه الشديد من ناحية أخرى؛ لقد تألم كثيراً من ضيق الحياة في المنفى، وبُعد عن الوطن وعائلته وأخيراً جعله فقدان صديقي دربه يشعر بالإحباط وخيبة الأمل.

## ٢-٢. أديب الممالك فراهاني:

يعدّ محمد صادق الحسيني فراهاني المعروف بأديب الممالك فراهاني شاعرًا إيرانيًا، وأديبًا ماهرًا، وصحافيًا في العصر القاجاريّ وقد شهد إحدى الوقائع المهمة في ذلك العصر وهي انتفاضة الدستورية (١٢١٠هـ - ١٣٤٤هـ). وُلد أديب الممالك عام ١٢٧٧هـ في قرية "غازان" من ضواحي مدينة "أراك" وتُوفيّ عام ١٣٣٦هـ في مدينة طهران وهو في الثامنة والخمسين من عمره. (موسوي گرمارودي، ١٣٨٦هـ، ش، ج ١، ص ٣٣-٧٣) تبع أديب الممالك في بداية حياته الأدبية كأسلافه أسلوبَ المديح وأخذ هذا الأسلوب بطريقة تقليدية وكان المعتادُ في زمن حياته أن يمدحَ الأدباءَ الأمراءَ وينشدون لهم قصائد طويلة مستهدين جذبَ انتباههم من أجل الحصول على المصاريف أو نفقات المعيشة والرفاهية أو حتى المناصب؛ (آرين پور، ١٣٧٢هـ، ش، ص ١٣٨) ويمكن رؤية هذه المدائح والثناءات بوضوح في القصائد المبكرة لأديب الممالك.

كانت الظروف السياسيّة التي سادت إيران في فترة ما قبل الحركة الدستوريّة بشكل لا يمكن لأيّ مفكّر أن يتسامح معها؛ وعمومًا الاختناق الداخليّ، واستبداد الحكام، سيطرة الأجانب على البلاد وغيرها، ما أدّى إلى تدهور الأوضاع في بشكل كبير، وكان هذا الوضع المضطرب ناجمًا عن بعض العوامل الداخليّة والخارجيّة وبعض منها: السلطة المنحوسة لناصر الدين شاه، نقل الامتيازات النفطية والجمارك الإيرانية إلى الدول الغربيّة و... (موسوي گرمارودي، ١٣٨٦هـ، ش، ج ١، ص ١٧٩)

ولكن شيئًا فشيئًا ومع بروز التطوّرات السياسيّة والاجتماعيّة تشكّلت أخيرا الحركة الدستوريّة التي ضيّقت المجال إلى حدٍ ما أمام القرارات الفرديّة للموك، وتوجّه الشاعر إلى إنشاد القصائد السياسيّة والاجتماعيّة وقلّ تدريجيًا استخدام المدائح والثناءات في شعره ويمكن أن نعدّ هذه المرحلة المهمة من حياته الأدبيّة كجسرٍ لانتقاله من المرحلة التقليديّة إلى مرحلة الحدائث والتجدّد.

طبعًا كان للنهضة الدستوريّة دورٌ مهمٌّ في يقظة الشاعر وتعبيره عن مشاعره لأنّه كان ينشد قصائده من منطلق الحبِّ والمدح والثناء فقط ولم تكن هنالك علاقة

بينه وبين مجتمعه، ولكن في عام ١٣٢٤هـ.ق، مع بداية الحركة الدستورية والتوظيف الرسمي لأديب الممالك في الصحافة، انعكست أفكاره الليبرالية ومشاعره الوطنية في قصائده وتغير تدريجياً تياره الفكري حيث حلت قصائده من المضامين التقليدية السابقة وظهرت فيها كراهته للفساد والاستبداد الذي أوجدها الحكام القاجاريون فأصبح شعره وسيلة لإيقاظ الشعب والدعوة إلى إصلاح مجتمعه. كما نشر الجرائد في الظروف الخانقة في تلك الحقبة وعمل على إيقاظ الناس والشعب من خلال تعبيره عن الفساد الموجود في المجتمع وظلم الحكام وعملاء الاستعمار في البلاد، فكان كل ذلك من النقاط المهمة في حياة الشاعر السياسية.

### ٣. مفهوم الحرية عند أحمد مطر وأديب الممالك فراهاني:

من خلال إلقاء نظرة عابرة على ديواني أديب الممالك فراهاني وأحمد مطر، يمكننا أن نرصد روح الحرية في شعرهما. لكن للاطلاع بشكل تام على كيفية تلقي الشعارين لمفهوم الحرية، من الضروري استخراج نماذج شعرية من قصائدهما التي تشير مباشرة إلى هذا المفهوم لكي نقوم بتحليلها ومقارنتها. مع ذلك، بمجرد إلقاء نظرة قصيرة وتصفح سريع لديوان أحمد مطر، نلاحظ أن كلمة "الحرية" تحظى بمكانة خاصة في قصائده؛ حيث إن معظم قصائده تدور حول المقاومة والدفاع عن الوطن، ف جاء استخدام وتكرار لفظ الحرية في شعره يتسم بتكرار كثيف. أمّا عند ديوان أديب الممالك فراهاني، فنواجه عكس ذلك، إذ لم يتجاوز تكرار أو الاستخدام المباشر لكلمة "آزادي" (= الحرية) في قصائده ثلاث عشرة مرة، وعلى الرغم من سعة ديوانه الشعري وتمتعه بروح التحرر، يظل تكرار لفظ الحرية في قصائده محدوداً.

قدّم البعض تفاسير مختلفة لسبب قلّة هذا الاستخدام؛ ومنهم من افترض أن مفهوم الحرية لم يكن قد توسّع نطاقه بعد في تلك الفترة، ومن ثمّ رأوا أنّ الشاعر لم يكن على دراية تامّة بهذا المفهوم، ممّا أدّى إلى استخدامه لفظ الحرية بشكل محدود. (مصفاً وسعداتي، ١٣٩٠ هـ.ش، ص ٢١٨-٢٢١). والبعض الآخر زعم أنّ تعقيد

المجتمع القاجاري وهيمنة الاستبداد في السلطة لم يسمح له أن يجرؤ على استخدام لفظ الحرية بكثرة. ولكن هذه الآراء غالبًا ما تفتقر إلى الصواب إذا نظرنا إلى شخصية الشاعر الجريئة ودرايته العميقة في مختلف العلوم، بالإضافة إلى قصائده اللاذعة التي هاجم فيها الملوك القاجاريين.

أما في قصائد أحمد مطر فتحتل الحرية - كما أشرنا - مكانة بارزة، إذ ترتبط ارتباطًا وثيقًا بمضامينه الشعرية الأخرى، ما أدّى إلى كثرة استخدام لفظها في شعره. ويمكن القول إن الحرية تُعدّ من أبرز المحاور الرئيسية في شعره، كما أنّه في موضع يعبر عن غيابها في وطنه بأسلوب السرد والمفارقة حين يقول:

كانت معي صبيّة  
مربوطة مثلي  
جراحها  
تبكي السكاكين لها  
حَضنتها بأدمعي  
قُلْتُ لها: لا تَجزعي  
مهما استَطالَ قَهْرُنَا  
لا بُدَّ أن تُدرِكنا الحُرِّيَّة  
تَطَلَّعت إليّ  
ثُمَّ حَشَرَجَت حَشْرَجَةَ المِنيَّة:  
إني أنا الحُرِّيَّة!  
(مطر، ٢٠١١م، ص ٢٤٤)

وبنظرة إلى القصيدة أعلاه يتضح لنا أنّ الشاعر شبّه الحرية بصبيّة باكية من شدّة الجراح وتعاني من قهْرٍ لِحَقِّ بها. لكنّ السياق الموجود في القصيدة يبيّن لنا أنّ الصبيّة الباكية ترمز إلى انكسار الحرية تحت وطأة القمع، حيث يربط الشاعر بين تشظّي جسد الأنثى وتشظّي حلم التحرّر في مشهد يجسّد معاناة الإنسان العراقيّ تحت

الاستبداد. يستخدم الشاعر هذه التعابير القصصية ليعبر أولاً عن غياب الحرية في وطنه، وثانياً ليؤكد أنّ الحرية ترفض القهر والاستبداد. والشاعر كثيراً ما أكد في شعره أنّ السبب الرئيسي لهيمنة هذه الظروف المؤسفة على شعبه هو السلطة الغاصبة، وعموماً رؤية الشاعر تجاه السلطة هي رؤية عدائية تماماً، إنّه يهجو السلاطين كأمر اعتيادي ويستهزئ بهم بسبب ميلهم إلى استعباد الشعب وكرهيته الشديدة لما يواجهه هذا الشعب. كما يوضح لنا في موضع آخر، مع استخدام أسلوب السرد صورةً عن الحكّام تعارض تماماً روح التحرّر، حيث يقول:

قَرَأَ الْأَثْعُ مَنْشُورًا مَمْتَلَأًا نَقْدًا  
أَبْدَى لِلْحَاكِمِ مَا أَبْدَى  
الْحَاكِمِ عَلَّمْنَا أَنَّ الْحَرِيَّةَ لَا تُهْدَى  
بَلْ تُسْتَجْدَى  
فَانْعَمَ يَا شَعْبُ بِمَا أَجْدَى  
أَنْتَ بِفَضْلِ الْحَاكِمِ حُرٌّ  
أَنْ تُصِيحَ عَبْدًا لِلْحَاكِمِ  
أَوْ تُصِيحَ لِلْحَاكِمِ عَبْدًا!  
بَصَقَ الْأَثْعُ فِي الْمَنْشُورِ وَأَرَعَدَ رَعْدًا:  
حَاكِمُنَا وَغَدٌ وَسَيِّقَى وَغَدًا  
بَلْ وَرَدًا  
وُجِدَ الْأَثْعُ  
مَدْهُوسًا بِالصُّدْفَةِ عَمْدًا  
(السابق، ص ١٩٥)

وبنظرة بسيطة إلى القصيدتين أعلاه، يتضح لنا أنّ الحرية قد ترتبط بمرتكزات الشاعر التي تجلّت في إبراز السلطة غير المشروعة للحكّام، وكذلك انعدام قدرة الشعب على الاحتجاج أو التعبير عن رأيه. وفي الحقيقة إنّ تحقّق الحرية بحسب هاتين القصيدتين

يكمن في التحرّر من قيود الاستبداد والطغيان الذي تمارسه السلطات الحاكمة. وقد بلغ هذا الاستبداد حدًّا جعل الشاعر ينظر إلى مجرد الاحتجاج على السلطة كأنّه فعل يعادل الموت.

أمّا تحقيق الحرّية في شعر أديب الممالك فيحظى بنطاق أضيق، حيث قد يرتبط هذا المفهوم في شعره بنشأة الحركة الدستوريّة. فهو في موضع ما يرى الحرّية عند مدح الدستوريّة بمثابة ازدهار ناتج عن هذه الحركة، حيث يقول:

هر كه جام از بط مشروطه زند از كف جبريل رسد ساغر آزادي ما  
در شط علم و ادب غوطه زند صور اسرافيل دهد مژده آبادي ما  
(فراهاني، ٥١٣٨٦.ش، ص ٥٤٣)

الترجمة: -مَنْ يَرْتَوِ مِنْ كَأْسِ الْمَشْرُوطَةِ (الدُّسْتُورِ) يَغُصُّ فِي نَهْرِ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ.  
-يُهْدَ لَهُ جَبْرِيلُ كَأْسَ حُرِّيَّتِنَا تُبَشِّرُهُ صُورُ إِسْرَافِيلَ بِعِمَارَةِ دِيَارِنَا.

والشاعر هنا حوّل الدستوريّة إلى خمرة مقدّسة، والحرّية إلى نزل سماوي يمنحه جبرائيل، ممّا يكشف عن ربط الحرّية بالشرعيّة الدينيّة وأيضًا بالإصلاح المؤسّساتي في فكرة الشاعر، وهذا يوضح أنّ تصوّره للحرّية كان مرتبطًا بشكل وثيق بالتحوّلات السياسيّة والإصلاحيّة في عصره، وذلك على عكس أحمد مطر الذي جسّدها كمبدأ مطلق وثورّي وحقّ فطريّ مطلق؛ حيث إنّه يفك علاقة الحرّية بالشرعيّة السياسيّة. فإنّ رؤية أحمد مطر للحرّية لم تكن مجرد فكرة عابرة، بل أصبحت من أهمّ القيم الإنسانيّة المقدّسة، حتى إنّّه يدعو الأمة لكي يبذلوا قصارى جهودهم لتحقيق الحرّية وعدم التوقّف عن هذا السعي، كما هو يقول:

لا تطلبني حُرّيّةً أنيتها الرعيّة

لا تطلبني حُرّيّة

بل مارسي الحرّية

إن رضي الراعي فألف مرحبًا

وإن أبى

فحاولي إقناعه باللطف والروية  
 قولي له أن يشرب البحر  
 ما كانت الحرية اختراعه  
 قولي له: إنِّي وُلدت حرة  
 قولي له: إنِّي أنا الحرية.  
 (مطر، ٢٠١١م، ص ٢٠٤)

يبدو أنّ النظرة التي يتبناها أحمد مطر تجاه مفهوم الحرية -والتي تحمل بُعداً فلسفياً واضحاً- لا يمكن رصدها في شعر أديب الممالك. فمطر يرى جذور كل معاناته، ولا سيما نفيه من وطنه، في غياب الحرية، ومن الطبيعي أن يتجلى هذا المفهوم عنده بشكل أعمق وأكثر تجذراً. بالمقابل، يمكن القول إن أديب الممالك نظراً إلى مناصبه في البلاط -وذلك على عكس أحمد مطر الذي كان بعيداً عن المناصب السياسية- لم يتناول الحرية في شعره من زاوية فردية أو فطرية، بل ركّز على جوانبها الجماعية والسياسية. ومع ذلك، يمكن رصد نقاط تقاطع بين تصوّر الشاعرين للحرية، ولعلّ أبرزها هو تعارض هذا المفهوم مع الاستبداد. كما يظهر في قصيدة له بعنوان "سرود غم" (= أنشودة الحزن)، حيث عدّ طغيان الملوك واستبدادهم معارضة للحرية، ورأى أنّ قصف البرلمان بيد محمد علي شاه كان رمزاً للاستبداد، بينما القانون والبرلمان كانا رمزاً للحرية. وقد خاطب الشاعر البرلمان بلغة رمزية قائلاً:

ای کاخ بهارستان! سقفت زچه ویران شد؟  
 ای رشک نگارستان، خاکت ز چه پرخون شد؟  
 توبارگه دادی، کی در خوربیدادی؟  
 چون کار تو آزادی افکار تو قانون شد  
 از عشق تو مستم من، وز غیر تو رستم من  
 مشروطه پرستم من، قلبم به تو مفتون شد  
 ای قصر سلیمانی، از بهر چه ویرانی؟

ای ملت ایرانی، بخت ز چه وارون شد؟  
با آن همه استادی درمهلکه افتادی  
سر رشته ی آزادی از دست تو بیرون شد  
(فراهانی، ۵۱۳۸۶. ش، ص ۵۴۲-۵۴۴)

الترجمة: -یا قصر البهاریستان (البرلمان)! لِمَ انهارَ سَفْكَ؟ يَا مَوْطِنَ الْعَبْرَةِ! لِمَ  
اِخْتَبَأْتُ أَرْضَكَ بِالذَّمَاءِ؟  
-أنت رمزٌ للعدالة وكيف تستحق الظلم؟! لِمَا صارت أفكارك حُرَّةً، والقانون نظامًا  
لك.

-أنا سكرانٌ بحبك، وبغيرك قد برئت، أنا محبٌ للمشرُوطَةِ (الدستورية) حُبًا جمًّا،  
وقلبي بحبك مأسورٌ.

-يا قصر سليمان! لِمَ هدمتِ وَأنتِ العَظِيمُ؟ يا أُمَّةَ إيران! لِمَ انقلبَ حَظُّكَ؟  
-بِكُلِّ مَا فِيكَ مِنَ الْعِرَّةِ، سَقَطَتْ فِي الْهُوَّةِ! وَأَنْسَلَّ حَيْطُ الْحُرِّيَّةِ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِكَ.  
إذًا الشاعر، بسبب دفاعه عن النهضة الدستورية وتأييده للقانون والبرلمان،  
وبالإضافة إلى انزعاجه من طغيان الملوك المستبدين، عدَّ الحرية ضدَّ الاستبداد ومرافقةً  
للقانون والعدالة. فيمكننا القول إنَّ النهضة الدستورية والبرلمان وبالتالي القانون،  
كانت جميعها ترمز للحرية في اعتقاد الشاعر. وكان يعتمد تحقيق الحرية على تحقيق  
الانتفاضة الدستورية أو حتى ينحصر فيها، كما نرى في أواخر العصر القاجاري، كتب  
أحد السياسيين باسم "أحمد قوام"، الملقَّب بـ "قوام السلطنة" - الذي يخاطبه الشاعر  
بـ "حضرت أشرف" - مرسومًا دستوريًّا. وقام "أديب الممالك" آنذاك بمدحه على عمله،  
وعدَّه محبًّا للحرية وفي أثناء هذا المدح، يُصرِّح الشاعر بأنَّ استمرار النهضة الدستورية  
هو ضمان لاستمرار العدالة والحرية، لأنَّ هذه الحركة كانت تسعى إلى منع استبداد  
الحكَّام القاجاريين وإجبارهم على التعامل وفقًا للقانون، يقول الشاعر في هذا الصدد:

حضرت اشرف سپهدار، آن که از یاسای او  
عدل جویان جان گرفته، بدگسالان مرده اند

هست مشروطه بدو پاینده، ایران زو به پای  
 زین سبب دزدان آزادی ازو افسرده اند  
 جان فدای همت رندان آزادی طلب  
 که به یک جنبش خران را زیر بار آورده اند  
 بودی از روز ازل مشروطه خواه وصلح جوی  
 فتنه جویان خاطرت را زین جهت آزرده اند  
 (السابق، ص ۸۰۲)

الترجمة: - السيد الأشرف القائد! بفضلِ ظلِّه عاشَ طالبو العدلِ، وماتَ ذوو النّوايا السيئة.

الدستورُ بفضلِه خالدٌ، وإيرانُ به تقومُ فاستاء منه غاصبو الحرية.  
 نفوسنا فداء في سبيلِ الأحرارِ حينَ فشل الحمقى بحركةٍ واحدةٍ.  
 كنتُ منذُ الأزلِ داعياً للدستورِ والسلامِ فهذا أضجركَ مُثيرو الفتنة.  
 وفقاً للتحليل السابق يمكننا القول بأن الحرية بوصفها حقاً جماعياً ومشروعاً ليست مفهومة ومعقدة بحسب رؤية أديب الممالك، بل ترتبط بشكل أساسي بالقانون ومركزية العدالة والنظام في العهد القاجاري وخاصة في البلاط. فغالباً ما يفهم مفهوم الحرية في شعره كنتيجة لهذه العوامل المذكورة، أكثر من كونه مفهوماً مستقلاً بذاته. لذلك، يتجسّد تصوّره للحرية في تحقيق نهضة الدستورية، إذ إنّ القانون والعدالة يكتسبان معناهما بعد تحقّق هذه النهضة، ممّا يؤدي في النهاية إلى ظهور الحرية. بينما يختلف الأمر في فكرة أحمد مطر، حيث لا يبدو تحقيق الحرية أمراً سهلاً، بل يحمل درجةً من التعقيد. فإذا كانت الحرية في تصوّر أديب الممالك تتشكّل عبر القانون والعدالة في شؤون الحكّام، فإنّه يرى أحياناً أنّ وجود الحكّام أنفسهم يتعارض مع الحرية، إلى حدّ أنّ تحقيق الحرية في نظره يكاد يكون مستحيلًا أو مجرد وهم، كما يقول في إحدى قصائده:

أنا لا أكتب الأشعار فالأشعار تكتبني

أريد الصمت كي أحيأ  
ولكن الذي ألقاه ينطقني  
أأكتب أنني حرّ؟  
وحتى الحرف يرسف بالعبوديّة  
لقد شيعت فاتنة  
تسمّى في بلاد العرب تخريباً وإرهاباً  
وطعنًا في القوانين الإلهية  
لكن اسمها في الأصل حرّية.  
(مطر، ٢٠١١م، ص ٣٣)

كما يتبيّن من سياق القصيدة، فإنّ أحمد مطر يريد أن يصوّر مفهوم الحرية كحقّ فطريّ وفرديّ، وعبارته «أأكتب أنني حرّ؟» تدلّ دلالة واضحة على هذا الموضوع. ومع اقتناعه بالحرية السياسيّة والجماعيّة، إلّا أنّه يراها مرتبطة بالحرية الفردية. وقد أدّت صراعاته المتواصلة مع السلطة التي انتهت بطرده الأبديّ من وطنه إلى أن يصير ضحيّة في طريق الحرية، وكانت هذه الرحلة المريرة مليئة بالإحباطات التي تتجلّى عادة في السخرية اللاذعة. إذ ينفي في إحدى قصائده بطريقة ساخرة وجود حرّية التعبير في مجتمعه، قائلاً:

قال لزوجته:

اسكّتي وقال لابنه: انكتم.  
صوتكّما يجعلني مشوّش التفكير  
لا تنبسا بكلمةٍ أريد أن أكتب عن  
حرّية التعبير!

(السابق، ص ١٨٧)

وقد عمّقت كافّة صراعات الشاعر في سبيل الحرية تأملاته حول تصوّر الحرية كمفهوم فطريّ وفرديّ، ممّا دفعه إلى التحدّث -على عكس أديب الممالك- في قصائده

عن غياب الحرية لذاته كإنسان عراقي، أو كعربي أحياناً. مع ذلك، وبالرغم من تركيز أحمد مطر على الجانب الإيجابي للحرية الفردية، نجد أحياناً في شعر أديب الممالك جانباً سلبياً لهذا المفهوم؛ وهو قد يعتبر الحرية الفردية طريقاً لتزوير الملوك أو السلطة الفاسدة آنذاك، فإنه يؤمن بالحرية الفردية فقط في إطار وطني وقانوني، وإلا فهي سبب في خراب الوطن وانهيائه كما هو يصرح:

قومي كشدن بادە وجمعی خورند خون

خلقی به مرغزار وگروھی به مرغزن

دنیا خراب شد پی آزادی نفوس

دریا سراب شدن پی آبادی وطن

(فراهانی، ۵۱۳۱۲ ش، ص ۴۲۸)

وفي موضع آخر يصرح بوضوح أن هذا النوع من الحرية يتعارض تماماً مع حب الوطن:

ایکه داری درد دین را جفت با عشق وطن

دست از شادی بشوی و خانه ز آزادی بروب

الترجمة: - قومٌ يعصرون الخمرَ وقومٌ يشربونَ الدماءَ وقومٌ في المرعى وآخرونَ في أقفاصِ الطيورِ.

- فساءتِ الدنيا بسببِ حريةِ النفوسِ وصار البحرُ سراباً سعيّاً وراءَ عمارةِ الوطنِ.

- يا من جعلتَ السعيَ في الدينِ قريناً لحُبِّ الوطنِ اغسِلْ يَدَيْكَ مِنَ الْبَهْجَةِ وَقُمْ

بِتَدْمِيرِ الْحُرِّيَّةِ فِي الْبَيْتِ (الْوَطَنِ).

وكما يبدو واضحاً، ينفي الشاعر مفهوم الحرية الفردية التي ترتبط فقط بالميل

النفسيّة وهواها وتتبع المصالح الشخصية. ويمكن إرجاع تأكيد الشاعر على هذه

النقطة إلى القرارات المتعسفة والمفاجئة التي اتخذها بلاط القاجار والملوك، والتي

أدت إلى عواقب وخيمة مثل قصف البرلمان، والسماح بتدخل الأجانب في شؤون البلاد،

وغير ذلك.

وبالتالي، فإنّ كلا الشاعرين قد قدّما صورة إيجابية أو سلبية للحرية الفردية

بما يتناسب مع سياق فكرهما ومجتمعهما. ويمكن تفسير ندرة استخدام مصطلح "الحرية" في شعر أديب الممالك جزئياً بالحساسية تجاه هذا المفهوم، حيث يسعى الشاعر إلى ربط الحرية بأساسيات الدستور والبرلمان، بحيث تصبح الحرية ضمن إطار القانون والنظام والمسؤولية والوطنية. لذلك فهو يرى أنّ الحرية خارج هذا الإطار مدمرة. ويمكن القول إنّ الحرية الفردية التي يتحدّث عنها أديب الممالك لها طابع قوميّ أكثر من كونها فلسفيّة أو فطرية، وهي ترتبط بشكل أكبر بالشؤون السياسيّة وبلاط الحكّام والملوك. أمّا الحرية الفردية التي قد يشير إليها أحمد مطر فهي تحمل طابعاً فطرياً صرفاً، حيث يعبرُ بمرارة عن غياب حرية التعبير التي تمثّل أهمّ جوانب الحرية في الإنسان، معتقداً أنّه عندما يجرى قلمه لكتابة أفكاره فيجري دمه أيضاً كما يصرّح قائلاً:

قلمي يجري  
ودمي يجري  
أوطاني سُغلي والغربة أُجري  
يا شعري  
يا قاصمَ ظهري  
هل يُشبهني أحدٌ غيري؟  
في الهجرة أصبحتُ مُقيماً  
والهجرة تُمعنُ في الهجرِ  
(مطر، ٢٠١١م، ص ١٨٧)

وكما يظهر من كلام الشاعر، فهو مستعد لتحمل عبء الغربة والبعد عن وطنه وأحلامه من أجل نيل حرية التعبير التي هي حقّ فرديّ فطريّ له. وهذا ما يدفعه لاستخدام ضمير المتكلم في معظم المواضع التي يتحدّث فيها عن الحرية. وعندما يقارن مطر فكرته بما يجري في مجتمعه، يشتدّ عذابه وحيرته ممّا جعله في النهاية يدرك مفهوم الحرية من منظور إنسانيّ عام وحقيقة فطرية لا يمكن إنكارها، وذنبه أنّه

وقف بكل صراحة بوجه المواقف التي كانت تعارض هذا القانون الفطري في الإنسان، ويقول في هذا الصدد:

ما هو ذنبي؟  
 ما لي وحدي إذ أنثرُ بذرَ الحرِّيَّةِ  
 لا أحظى من بعدِ بذاري  
 إلَّا ينموُّ الأسوار؟  
 وذنْبُكَ أنْكَ موسيقيٌّ  
 يكتُبُ أحيانًا أسرة  
 وذنْبُكَ أنْكَ ما أذنبتَ  
 وعاركَ أنْكَ ضدَّ العارِ  
 (السابق، ص ٢٦٧ - ٢٦٨)

وفي شعر أديب الممالك، على الرغم من عدم وجود إشارات مباشرة إلى هذا النوع من الحرِّيَّة الفرديَّة، إلَّا أنَّه يمكن في بعض الأحيان تتبُّع آثار الحرِّيَّة الفرديَّة من المنظور العرفانيِّ في شعره. كما نرى في جزء من قصيدته التي نظمها في فضائل شهر رمضان، حيث يصوِّر الحرِّيَّة كمطلب روحيٍّ وطريق للخلاص من سجن الجسد والقيود الماديَّة:

تن در طلب شادی است جان در پی آزادی است  
 این طالب آبادی است آن مایل ویرانی  
 آبادی اگر خواهی تو بنده این جسمی  
 ویرانی اگر جوئی تو زنده آن جانی  
 (فراهانی، ٥١٣١٢، ش، ص ٤٨٧)

الترجمة: -الجسم يطلب البهجة وروحك تطلب الحرِّيَّة هذا طالب العمرانِ وذاك مشتاقٌ للانهيار.

- إن أردتَ العمرانَ فأنت عبدٌ لهذا الجسدِ وإن أردتَ الانهيار فأنت حيٌّ بتلك الروح.  
 كما يتضح من القصيدة، تناول الشاعر الجانبَ العرفانيِّ لمفهوم الحرِّيَّة الذي لا

علاقة له بالبعد السياسيّ أو الجماعيّ. في الواقع، يمكن القول إنّ أهمّ أشكال الحرّية وفقاً لما يُستخلص من شعر أديب الممالك هي الحرّية الجماعيّة أو القوميّة. فحالما يسمع صدى القانون والعدالة في تحقيق الحركة الدستوريّة والبرلمان، يرفع صوته بأنشودة الحرّية. ولا شك أنّ "أديب الممالك" كان يعدّ الحركة الدستوريّة رمزاً للحرّية، لأنّها كانت قادرة على تقليص سلطة الملوك القاجاريّين إلى حدّ ما. ومع ذلك، وللأسف، فشلت هذه الانتفاضة، وأدرك الناس والأدباء تدريجيّاً أنّ هذه الحركة لم تحقّق أهدافها بشكل صحيح، ولم يبقَ لها سوى الاسم فقط. هذا الأمر أدّى إلى خيبة أمل الناس والعديد من الأدباء. (حاتمي، ١٣٨٩ هـ.ش، ص ٩٩) ومن ثم، بدأ الشعراء، وعلى رأسهم "أديب الممالك"، بالسخرية من التيّار الدستوريّ بسبب إجراءاته بطريقة مزوّرة. والشاعر بعد أن أدرك أنّها أصبحت مجرد لعبة، بدأت تظهر عليه علامات الحزن نتيجة خيبة ظنّه، إذ كان يعتقد أنّ الحرّية ستتحقّق تدريجيّاً من خلال هذه الحركة. وهو يعبّر بوضوح عن ذروة إحباطه من عدم إجراء مبادئ هذه الحركة حين يقول:

دولت ولشكر وكشور همه رفت

چتر وطلبل وجرس وكوس نماند

از ترقّی و ز آزادی مُلك

خاطری نیست كه مایوس نماند

مستبد گر چه فنا شد، نامی

هم ز مشروطه منحوس نماند

(فراهاني، ٥١٣٨٦ هـ.ش، ص ٥٢٧)

الترجمة: -ذَهَبَتِ الدَّوْلَةُ وَالْجَيْشُ وَالْبِلَادُ وَذَهَبَ الْفَرْ وَالْهَيْبَةُ مِنَ الْبِلَادِ.

-يَأْسَتْ جَمِيعُ الْخَوَاطِرُ مِنْ تَطَوُّرِ الْبِلَادِ وَحَرِيَّتِهَا.

- فَمَا بَقِيَ اسْمُ مِنَ الدِّسْتُورِيَّةِ الْمُنْحُوسَةِ وَلَوْ زَالَ الْمُسْتَبِدُّ فِي الْوَطَنِ.

وعلى الرغم من أنّ هذه الانتفاضة لم تحقّق بشكل صحيح مبادئها ممّا أدّى إلى

ذروة إحباط الشاعر، ولكن تمّ إحيائها لاحقاً بعد أن تولّى الحكم أحمد شاه. (بناب،

٢٠٠٤م، ص ٨٠) وقد أشار "أديب الممالك" آنذاك إلى إحياء البرلمان وهذه النهضة مرة أخرى، وعبر عن الحرية التي تجلت بسبب إحياء النهضة الدستورية التي أدت إلى إحياء العدالة وتقليص الاستبداد. يقول الشاعر:

ای نگیں جم وتاج کی واورنگ قباد  
ای در دولت و کاخ شرف و درگه داد  
موقع وحدت مشروطه و استبداد است  
جمع این هر دو مپندار که از اضداد است  
شاکمونی به صف هند و به چین، کنفسیوس  
ملک را زیور بستند ز قانون چو عروس  
تا کریمول برافروخت ز مشروطه چراغ  
مرغ آزادی شد نغمه سرا در صف باغ  
(فراهانی، ٥١٣٨٦ ش، ص ٤٤٦-٤٤٨)

الترجمة: - يا تاج جم وتاج كيخسرو والملك قباد يا من تزين دولة المجد وقصر  
العدالة وباب الحق.

- لا تعتقد بموضع الوحدة بين الدستور والاستبداد لأن اجتماعهما من الأضداد.  
- شاکموني (أحد الأنبياء) إلى صف الهند وصين كونفوشيوس زينوا المملكة بالقانون  
كالعروس.

- صار طائر الحرية يردد أغانيه في حدائق البستان عندما أضاء كريمول مصباح المشروطة.  
عمومًا وبنظرة عابرة إلى ديوان أديب الممالك الشعري، نجده ملتزمًا تمامًا بقضايا  
مجتمعه، مهتمًا بتطور البلاد، وعارفاً بأهمية القانون. ولذا يمكن عدّه من الشعراء  
الكبار الذين أولوا اهتمامًا خاصًا بالوطن، إذ إنّ حبّ الوطن يمثّل أحد المحاور الأساسية  
التي تناولها ديوانه وفي مثل هذا المجتمع، تتسع قيمة الحرية بشكل كبير ولكن يجب  
القول إنّ الأشعار التي تذكر صراحة مفهوم "آزادي" (= الحرية) في ديوانه، تعبر أكثر  
عن أفكاره الوطنية والسياسية منها عن أفكاره الفلسفية.

وأخيراً تمّت بعون الله دراسة قصائد أحمد مطر وأديب الممالك فراهاني في مجال الحرية وكيفية رؤيتهما تجاه هذا المفهوم الانتزاعي وفي القسم الأخير نتطرق إلى أهمّ نتائج توصّلت إليها هذه الدراسة مع تسليط الضوء على الإجابة عن التساؤلات المطروحة لهذه الدراسة.

## الخاتمة

وأخيراً نذكر أهمّ ما توصّلت إليه هذه الدراسة وذلك من خلال دراسة أحوال المجتمع القاجاريّ والمجتمع العراقيّ في العصر الحديث أيضاً ودراسة قصائد الشعراء أحمد مطر وأديب الممالك فراهاني حول مفهوم الحرية من أجل معرفة كيفية تجلّي هذا المفهوم في فكرهما. ومن أهمّ النتائج لهذه الدراسة: هي أنّ كلا الشعراء تطرّقا في شعرهما إلى مفهوم الحرية بصبغتها السياسيّة وقد عبّرا عن هذا المفهوم كعنصر مفقود في المجتمع العراقيّ الحديث والمجتمع القاجاريّ مع أنّ هناك اختلافات واسعة في توظيف هذا المفهوم وكيفية تلقّيها له. ومن أهمّها هي أنّ مفهوم الحرية عند أحمد مطر يرتبط بالتخلّص من قيد العبوديّة والأسارة التي تتبع من استبداد الحكّام وطغيانهم لكنّ الحرية في فكرة أديب الممالك هي نوع من ازدهار ينتج من إجراء القانون والعدالة بشكل صحيح في المجتمع؛ وأنّ الحرية تجلّى استخدام لفظها في شعر أحمد مطر أكثر فأكثر، ويعود السبب في محوريّة هذا المفهوم ودوره البارز في شعره إلى شدّة معاناته في حياته السياسيّة وصراعاته المستمرة مع السلطة ممّا أدّى إلى بقائه المديد في المنفى وهذا الأمر من أهمّ العوامل المؤثّرة التي تسبّبت بتوالي تعبيره عن الحرية بوصفها مفهوماً فلسفياً عميقاً وحقاً فردياً. أمّا الحرية في شعر أديب الممالك فراهاني فلا تتجاوز حدودها السياسيّة والقوميّة وإنّها هي مشروع جماعيّ ونتيجة لإصلاح النظام السياسيّ وفقاً للقانون والعدالة ممّا يؤدّي إلى تطوّر البلاد وتخلّصها من سلطة الأجنبيّ؛ فلذا اعتقد الشاعر أنّ العامل الوحيد لتحقيق الحرية هو إجراء القانون والعدالة وهما نتيجتان لإحياء الانتفاضة الدستوريّة وإنشاء البرلمان.

## المصادر العربية والفارسية

آرين پور، يحيى، (۱۳۷۲هـ.ش)، از صبا تا نيما، ج ۲، چ ۵، تهران: انتشارات زوار. اقدامي، مهين وشكيب، محمود وقاسمي حاجي زاده، ليلا، (۱۴۰۱هـ.ش)، «بررسی تطبيقي آزادي خواهی (از جنبه اجتماعي - اسلامي) در شعر ايليا ابو ماضي ومحمد تقی بهار»، دو فصلنامه مطالعات فرهنگي اجتماعي حوزه، سال ششم، شماره ۱۱، ص ۹۷-۱۱۴.

بناب، يونس پارسا، (۲۰۰۴م)، تاريخ صد ساله احزاب و سازمانهاي سياسي ايران (۱۳۸۴-۱۲۸۴)، ج ۲، چ ۲، بی جا: انتشارات راوندي.

پيشوايي علوي، محسن وسرباز، حسن وراشديان، منيوه، (۱۳۹۶هـ.ش)، «بررسی تطبيقي مقوله آزادي در شعر معروف رصافي وفرخي يزدي»، دو فصلنامه مطالعات تطبيقي فارسي- عربي، سال دوم، شماره ۳، ص ۶۱-۸۴.

حاتمي، حافظ، (۱۳۸۹هـ.ش)، بررسی زمينه ها و درون مایه های اجتماعي شعر دوره بيداري، پايان نامه دکتری، دانشگاه اصفهان، دانشکده ادبيات و علوم انساني.

الحافظ، منير، (۲۰۲۲م)، عصاب الحرية تأريخ اشتغالات الحرية في (الدين، الدولة، الطبقات، العرقية القومية، العولمة)، ط ۱، الأردن: دار الخليج للنشر والتوزيع. دستگردي، وحيد، (۱۳۱۲هـ.ش)، ديوان كامل اديب الممالک فراهاني قائم مقامی، چ ۱، بی جا: مطبعه ارمغان.

ضياء الدينی، علی وحيدريان، احمدرضا، (۱۳۹۳هـ.ش)، «خوانش تطبيقي مفهوم آزادي در شعر محمد سامی البارودی وملك الشعراء بهار»، کاوش نامه ادبيات تطبيقي، سال چهارم، شماره ۱۳، ص ۹۵-۱۱۹.

عایش، محمد، (۲۰۰۶م)، أحمد مطر شاعر المنفى، ط ۱، لبنان: دار اليوسف. علّوش، سعيد، (۱۹۸۷م)، مدارس الأدب المقارن، ط ۱، دون البلد: المركز الثقافي العربي.

فرزاد، عبد الحسين ومرادی جعفرلو، یونس ومرادی جعفرلو، سمیه، (۵۱۳۹۹.ش)، «نگاهی تطبیقی به مفهوم آزادی در شعر احمد شاملو واحمد مطر»، فصلنامه مطالعات ادبیات تطبیقی، سال چهاردهم، شماره ۵۶، ص ۱۴۵-۱۶۵.

قصاب، ولید، (۲۰۰۹م)، مناهج النقد الأدبی الحدیث، ط ۲، دمشق: دار الفکر.

الکردي، أبو علي، (۲۰۱۱م)، المجموعة الشعریة أحمد مطر، ط ۱، لبنان: دار الحرّیة-.

مجیدی، حسن وحیدری، محمد، (۵۱۳۹۰.ش)، «مفهوم الحرّیة فی شعر أحمد مطر»، نشریه ادبیات پایداری، سال دوم، شماره ۴، ص ۵۰۶-۵۱۸.

مصفا، مضاهر وسعدتی، عباس، (۵۱۳۹۰.ش)، «جایگاه وطن، آزادی، قانون ودانش در شعر ادیب الممالك فراهانی»، فصلنامه تحقیقات تعلیمی وغنایی زبان وادبیات فارسی، سال سوم، شماره ۸، ص ۲۰۷-۲۳۲.

موسوی گرمارودی، سید علی، (۵۱۳۸۶.ش)، زندگی وشعر ادیب الممالك فراهانی (دوره دو جلدی، تصحیح وتنقیح)، چ ۲، تهران: انتشارات قدیانی.